نائل الطوخي*

## عن المسيح وغيفارا واسماعيل

# صدام حسين: البطل المدلل لكاميرا أعدائه

■ مع التزامن النادر لعيدي الأضحى والميلاد، تسير أخيرا، وجنبا الى جانب، قصتا الفداء المقدستان، قصة افتداء اسماعيل وافتداء يسوع نفسه لأجل الانسان. الفداء هو ما يصلح اعوجاج البشرية. اختيار أفضل ما لديك، ثم التخلص منه، في نوع من اثبات الولاء للرب، ولكن أيضا كنوع من البرهنة على صحة جسدك، جسدك الذي لم يقصر عن تأدية كل مهامه بعد خلع العنصر الأكثر بهاء منه. الفداء يحوي عنصر التكفير عن الذنب، ولكنه يحوي أيضا ذلك التحدي الواثق منه نفسه، الذي يؤكد أن الجسد سيظل كما هو، لن تقل كفاءته بعد. هكذا، تم الاعلان عن اعدام صدام حسين فجر عيد الأضحى.

تم التخلص من البطل الشرير اذن، لا على هيئة تضحية هذه المرة ولكن على هيئة تطهير. تطهير للجسد العراقي الجميل من مرضه. هذه الحملة التطهيرية التي توبعت بمشهدية وافرة تمثلت في دخول كاميرات التصوير غرفة الاعدام، واكبتها حملة موازية تمثلت في ردود الفعل الفرحة بالاعدام، حملة كانت عناوينها من عينة عام جديد بدون الطاغية أو بدون صدام ذلك أفضل جدا. هكذا اذن. كان صدام، حتى في أثناء كونه أسيرا، هو من عطل الجسد العراقي عن أن يكون جسدا صحيحا. حسنا، لننتظر ونر.

لا يمكننا تصنيف الفرحة باعدام صدام حسين الا بنوع من السذاجة، فالطاغية كان متقاعدا عن استبداده منذ سنوات. انها فرحة تطهيرية في المقام الأول، فرحة بتناقص عدد الأشرار واحدا، الأشرار الذين لم يستطع أحد احصاءهم ولا تقديم تصور عن كيفية التخلص من بقيتهم جميعا، واحدا اثر واحد أو مجتمعين. الشر دوما هو كائن هلامي ومختلف عليه تماما. ومحاولة ملاحقة الشر، خاصة في حال كونه عاجزا، تكون لها اهداف خطابية أكثر منها سياسية. من هذه الناحية لابد من الاعتراف بأن اعدام صدام حسين هو عبث، هو أمر ينتمي لقصص الأطفال التي تصر على أن يلاقي المسيء جزاءه، حتى لو كان جزاؤه هذا وبالا على من عاقبه، لأن الحكايات لا تجازف أبدا بأن تصل الى هذه النقطة.

يملك حكام العراق الجدد بطش صدام ولايملكون حنكته. استطاع صدام تحويل قطاعات كبيرة من الشعوب العربية، المولعة بالخطابة، الى مناصرة له، وفشل حكام العراق في لفت نظر قطاعات كبيرة من الغرب، المولع بالنجاح، اليهم. كان الفشل رديفهم في كل خطوات اصلاح العراق، هنا يمكن القول أن صدام كان هو النموذج الأمثل لهم. صدام الذي استطاع باستبداده الحفاظ على تماسك، نسبي وهش وشوفيني، للعراق. هذا النجاح على ما يبدو مثار غيرتهم، هم الذين لا يملكون، مثله بالضبط، محاذير أخلاقية كثيرة فيما يتعلق باستخدام العنف أو تأجيج الطائفية أو القمع.

على الرغم من استشهاد المسيح على أيدي اليهود، فلقد تم التكفير بموته عن خطيئة الانسان، الانسان الذي قتل ربه بيديه، والذي لم يحتمل أن يعيش الابن المقدس بين ظهرانيه. هذه النقطة في حكاية الفداء تتعطل القصة القرآنية والتوراتية عن بلوغها، تصل القصة الاسلامية واليهودية الى مكافئة ابراهيم على استعداده لقتل ابنه وحيده الذي يحبه. الهدية هي عنوان القصتين، قصة العهد الجديد وقصة القرآن والتوراة، هدية يسوع للانسان (الغفران) و هدية الله لابراهيم (الكبش)، الهدية التي تأتي في أعقاب التضحية. في النهاية، يبدو استعداد الانسان للتخلص من أغلى ما لديه، لأجل أمر بعيد، صوت يسمعه، وحي يتلقاه من عالم آخر يحب أن يختبر دوما قدرته على الحياة بعيدا عن مسببات سعادته، يبدو هذا الاستعداد هو مختبر الانسان أمام ذاته. لا يمكن القطع أن أشياء كتلك لم تخطر في بال حكام وقضاة العراق، والذين ينظرون الى صدام بنوع من البنوة، هم أبناء بطشه وممارسيه والمحتجين عليه فقط لأجل ترسيخه. هكذا يضحي الابن بأبيه، لاثبات قوته وكفاءته واستقلاليته بعيدا عنه، وانتظارا لهدية الرب الأخيرة. العالم الجديد سيتحقق الآن، حالا. بعد بعض الهجمات الانتقامية للبعثيين والصداميين والارهابيين، سينتفض الشر انتفاضته الأخيرة ويسلم الروح. هكذا فقط ندخل جنة غفران الخطيئة الأولى، ندخل جنة نسيان ماضينا الملوث ومحوه، ندخل نهاية التاريخ. يقدم حكام العراق قربانا ما يرون أنه أفضل جزءا من جسدهم، الجزء الذي تربوا عليه ولا يفهمون الا اياه، الجزء الأكثر نجاعة وكفاءة في نظرهم، صدام حسين، هم الأبناء الشرعيون له، بهدف انقاص أعدائهم الأشرار واحدا، ولكن أيضا بهدف يتصل بالتحدي، بهدف قطع أي كلمة قد تقال عن أن صدام لو كان في السلطة لما كان العراق على هذا الشكل، هذا التحدي يدخلونه واثقين، ثم يخسرون المرة تلو المرة. لم يتوقف العراق طيلة السنوات الثلاث الأخيرة عن أن يسير بثبات نحو الأسوأ.

فيما يخص صدام حسين بالتحديد، وليس العراق، تتتابع الأعياد، بدءا من سقوط تمثاله في ساحة الفردوس حتى العثور عليه في الحفرة التي اختارها بنفسه وانتهاء بموته الآن. لا يبدو أن هناك عيدا موحدا استقر عليه أعداؤه، وهم كثر. لماذا؟ لأن كل عيد يكشف نفسه بسرعة عن أنه ليس عيدا، لأن الفارق ليس شاسعا بين يوم ثمانية وعشرين كانون الاول/ ديسمبر ويوم ثلاثين كانون الاول/ ديسمبر عام 2006. ان لم يكن العنف يتزايد لصالح الأخير. برغم ذلك، فالحرص أشد ما يكون لدى حكام العراق على مزاجهم الاحتفائي، على رموزهم التي يكدسونها، على تقديس الأشخاص والتواريخ والأفعال. وباختصار، على تحويل تاريخهم الى معرض كبير من الأيقونات، لنتذكر المشهدية الرهيبة لحادث تافه مثل اسقاط تمثال، المشهدية التي يحبها كل الساعين وراء الرموز لا البشر.

هل قصدوا فعلا بفجر الثلاثين من كانون الاول (ديسمبر) دفن صدام أم اعادة بعثه بقوة، على هيئة ضحية، قربان، اله شهيد؟ أليس استسلامه الذي وصفه موفق الربيعي هو تسليم ينتمي للمسيح، لاسماعيل، لعلي بن أبي طالب، الذي يملك هو أيضا مع ابنه نفس الطاقة الهائلة على افتداء نفسه لأجل العالم، نفس التسليم أمام السكين الآخذ في الاقتراب لأنه يرى في الغيب ما لا ترى السكين وما لا يرى حاملها. بهذا كان حكام العراق يرسمون اسطورة صدام الخاصة، عبر هذه المشهدية التي تعمل وفق حدين في الغالب، وفي الغالب تميل أكثر الى حد واحد منهما، وهو الضحية.

يتحول الضحية شهيدا أما الجلاد فينساه التاريخ، «من يتذكر الآن صراخ اليهود مطالبين بيلاطس بقتل المسيح سوى بنوع من القرف والابتسامة الهازئة؟» ولا يهم أي سياق أو أي أسباب دفعت الضحية والجلاد لكي يقف كل منهما في هذا الموقف. أليست المشهدية هي حالة تقطيع للسياق، للتاريخ، الى لقطات صغيرة لا تعني الا ذاتها؟ ليتحمل حكام العراق اذن، ولتتحمل أمريكا موجة جديدة من العداء الذي لا تفهمه ولا تسعى لفهمه.

في يوم من الأيام، أثناء الحرب على العراق، وعلى شاشة احدى الفضائيات العربية، وفي سجال حول ذاك السؤال الذي كان المادة المفضلة للفضائيات وقتها: هل الحرب على العراق هي صواب أم خطأ؟ قال فؤاد عجمي أن أمريكا ستنتصر وأن صدام سيهزم وأن الكاميرا ستقترب من وجهه قتيلا ليقتنع كل من يشاهده أنه ميت. أضاف عجمي أن المشاهدين سيقتنعون بأنه ميت بالضبط كما اضطروا الى الاقتناع بأن غيفارا قد قتل. كانت نبوءة عجمي مرعبة. كانت تعمل لصالح صدام بشكل مطلق. هل قصد وقتها أن وجه صدام سيتحول الى أيقونة مقدسة مثل وجه غيفارا؟ هل قصد أن صدام سيصبح ملهما للشعوب والحركات التحررية مثل غيفارا، وهو رمز آخر للفداء في العقائد العلمانية. بالتأكيد لا. ولكن النبوءة تعمل على غير رغبة صاحبها أحيانا. هنا بالتحديد يبدو صدق نبوءة عجمي أمرا لا مناص منه. عبر اقتراب الكاميرا من صدام حسين، من تصويره نائما في حفرته، في زنزانته، يغسل ملابسه، ثم وهو يلقي كلماته المقدسة الأخيرة قبل «استشهاده»، جنبا الى جنب مع تصوير ابنيه على هيئة شهيدين، عبر كل هذا تكرس الكاميرا الأمريكية والعراقية التابعة لما سيعمل ضدهما في السنوات القادمة. يكرس حكام العراق للمهمهم وأبيهم الروحي، يضحون به مع خلفية درامية وموسيقى حزينة مناسبة تجعل من البطل الشرير الذي يموت في نهاية الفيلم على أيدي أبطال أكثر شرا محل تعاطف وتقديس من الجمهور الواسع، محلا لاكتشاف وسامة مفتقدة ظلت غير مدركة في الأيام السابقة. غيفارا بوجهه اليسوعي، الحسين بملامحه الثائرة، صدام بلحيته الأنيقة، كل هذا يضم الأخير الى أبطال لا يشبههم ولا يشبهونه. ينسى له الجمهور المستلب كل خطاياه، دفعة واحدة، في أوكازيون نادر، ولكنه لا ينسى أبدا الموسيقى التصويرية التي صاحبت مقتل بطله، لا ينسى الجمل الأخيرة التي قالها قبل موته. يعي مخرجو مسرحية العراق الآن أن هذا النوع من الميتات هو بالضبط مجال عمل الدراما.

* كاتب من مصر

الشيخ طارق يوسف حسن صالح*

## إلى متى يتحكم الجهلة في عبادات المسلمين:

# أما آن لكم يا علماء السعودية أن ترفعوا عقائركم لضبط عبادات المسلمين؟

■ أعلن مجلس القضاء السعودي أن يوم الخميس 21 كانون الاول/ ديسمبر 2006 م هو أول أيام شهر ذو الحجة 1427 هـ وبالتالي تكون وقفة عرفات يوم الجمعة التاسع من ذو الحجة 29 كانون الاول/ ديسمبر 2006 ويوم السبت 30 كانون الاول/ ديسمبر اول ايام عيد الأضحى المبارك. ولما كان الحج عرفة وهو الركن الركين للحج وبعدم إدارك يومه ووقته مع القدرة القطعية على تحديده قطعا لا شكا يسقط الحج وينهار ركنه الأساسي لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «الحج عرفة» ولعل ذلك هو السبب الذي من خلاله أمر الله أن يكون يوم عرفة ليس في أول يوم من ذو الحجة كما هو شأن شهر رمضان الذي يبدأ فيه الصوم مع أول يوم فيه، وكون عرفة يوم التاسع من ذو الحجة وليس الأول يفتح المجال لاستدراك الخطأ ومراجعة شهود الوهم أو شهود الزور ليتمكن الحجيج من الوقوف في اليوم الصحيح والذي يمطر فيه الله الرحمات على الشعس الغبر الذين جاؤوا من كل فج عميق.

فلقد فوجئت جميع الأوساط الإسلامية الدينية والعلمية حول العالم المهتمة بشأن عبادة الحج وعيد الأضحى والمعنية ببداية الشهور القمرية بإعلان مجلس القضاء السعودي بقيادة الشيخ اللحيدان أن بداية شهر ذو الحجة هو يوم الخميس 21 كانون الاول/ ديسمبر 2006 بناء على شهادة الشهود والذين سماهم عدولا بأنهم رأوا الهلال يوم الأربعاء 20 كانون الاول/ ديسمبر 2006 وعليه فقد قام مجلس القضاء المبجل بإعلان يوم عرفة يوم الجمعة 29 كانون الاول/ ديسمبر ويوم العيد يوم 30 كانون الاول/ ديسمبر ـ ولعل كثيرا من العباد المساكين سيحرصون على أداء الحج هذا العام حرصا على حضور عرفة يوم الجمعة لما فيه من تضاعف الثواب ـ وحسبما أكده الفيزيائي والفلكي الدكتور علي بن محمد الشكري، الأستاذ في كلية العلوم في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران حسبما نشر في صحيفة «الشرق الأوسط» يوم 6 كانون الاول/ ديسمبر 2006 ـ وهو ما يتفق عليه جميع علماء الفلك في السموات والأرض ـ فإن الهلال يغرب يقينا في سماء مكة المكرمة بثلاثة عشر (13) دقيقة قبل غروب الشمس يوم الأربعاء وفي مدن المملكة الأخرى ما بين 14 و20 دقيقة حسب مدن المملكة بما يعني استحالة رؤية الهلال بعد غروب شمس يوم الأربعاء لعدم وجوده فوق أفق المملكة العربية السعودية أصلا بعد غروب شمس الأربعاء. وهذا يعني أن البداية الصحيحة لشهر ذي الحجة يوم الجمعة 22 كانون الاول/ ديسمبر 2006 وأن اليوم الصحيح لوقفة عرفات ينبغي أن يكون يوم السبت 30 كانون الاول/ ديسمبر 2006. وهذا الإعلان الخاطئ لأول ذو الحجة ويوم عرفة جاء بالرغم من صدور القرار السامي الملكي بتشكيل لجان متابعة الهلال لتحري رؤية الهلال وضبط مواعيد المناسك بناءً على الرؤية الشرعية المتسقة مع الأدلة العلمية التي تثبت دخول الشهر، وبداية عملها في أربع مناطق سعودية حسبما نشرته صحيفة «الشرق الأوسط» السعودية اللندنية يوم الثلاثاء 19 كانون الاول/ ديسمبر 2006. ونقلت الصحيفة عن الدكتور زكي المصطفى عضو لجنة الإشراف على تقويم أم القرى، ورئيس قسم الفلك بمعهد بحوث الفلك والجيوفيزياء بالمدينة أن أربع لجان متخصصة في كل من الرياض، ومكة المكرمة، والقصيم، وحائل قد شكلت للتثبت من رؤية الهلال، قد زودت بأحدث الأجهزة والمعدات الفلكية، كما أن كل مجموعة تضم في عضويتها مندوبا من وزارة الداخلية (رئيساً) وعضواً من وزارة العدل وآخر من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. وقد صدر هذا الإجراء بعد مداولات ونقاشات محتدمة بين علماء دين وفلكيين حول ضبط رؤية الهلال وضرورة استخدام الأدوات العلمية المتطورة لرصد دخول الأشهر وتحديد مواقيت المناسك الدينية بشكل أكثر دقة. ولما كانت كل هذه اللجان المتخصصة المزودة بأحدث الأجهزة العلمية قد فشلت في رؤية الهلال يوم الأربعاء 20 كانون الاول/ ديسمبر 2006 لعدم وجوده أصلا كما أشرت فوق أفق المملكة السعودية يوم الأربعاء، فكيف تسنى لمن يملك عينيه فقط وقد يكون أرمد أو فوق الثمانين من عمره أن يرى هلالا بعد غروب الشمس لا وجود له أصلا بعد الغروب. وفي العام الماضي 1426 ـ 2005 قد تراجع المجلس الأعلى للقضاء السعودي بعد ثلاثة أيام من ذو الحجة عن القرار الصحيح الذي أعلنه ليوم عرفة وتعديله إلى اليوم الخطأ بناء على شهادة شاهدين عمرهما ثمانون عاما زعما أنهما رأيا الهلال الذي كان قد غاب قبل غروب الشمس بأربع دقائق لكنهما لم يتمكنا من التبليغ بعد رؤيتهما هلالا لا وجود له بعد غروب الشمس العام الماضي.

وقد نشرت صحيفة «الوطن» السعودية العدد 2196 بتاريخ 4 تشرين الاول/ أكتوبر 2006 مقالا للشيخ عبدالمحسن العبيكان المفتش القضائي بوزارة العدل السعودية تعليقا على خطأ بداية شهر رمضان هذا العام 2006 وتحدث فيه عن شهادة الشهود الذين يعتد بهم مجلس القضاء السعودي فقال «ان هناك رجلا في بلدة بنجد كان يشهد دائماً برؤية الهلال فلما عين أحد المشايخ الفضلاء رئيساً لمحاكم تلك المنطقة لاحظ على الشاهد ضعف البصر وكبر السن فشك في أمره فأراد أن يختبره فطلب من الشاهد في أحد الشهور أن يريه الهلال الليلة الثانية من الشهر فلم يستطع رؤيته على الرغم من كبر الهلال ورؤية الجميع له، فهدده رئيس المحكمة إن هو شهد بعد ذلك بالعقاب». وأضاف سيادته «في العام الماضي 1426هـ ـ 2005 م قامت لجنة من الفلكيين من مدينة الملك عبدالعزيز بالذهاب إلى حوطة سدير للوقوف مع الشاهد المعروف في تلك المنطقة لأجل أن يتراءى الهلال أمامهم وذلك في عدة أشهر من ضمنها آخر شهر شوال وآخر شهر ذو القعدة فلم يتمكن من رؤية الهلال مع إمكانية رؤيته بالمرصد، ولذلك لم يؤد الشهادة كالعادة فكيف لا يرى الهلال مع إمكان رؤيته بالمرصد لوجود اللجنة بينما يراه مع عدم إمكانيته بدون حضور اللجنة، ألا يدعو هذا إلى التساؤل؟ فأصدر المجلس بعدها بياناً بإكمال شهر ذو القعدة ثم بعد ثلاثة أيام صدر بيان آخر بأن شاهدين رأيا الهلال في بلدة لم نعرف أنه سبق لأحد من قاطنيها الشهادة برؤية الهلال فتغير وقت الوقوف بعرفة بناء على تلك الشهادة مما سبب إرباكا للمسلمين في العالم في مواعيد الطيران وذبح الأضاحي. وعندما ذهبت لجنة لمناقشة الشاهدين وجدت أحدهما واختفى الآخر فتمت مناقشة الشاهد الحاضر من قبل اللجنة فأفاد بأنه أذن للمغرب وانتظر حضور المصلين وبعد الصلاة والانتهاء من الذكر وأداء السنة الراتبة خرج من المسجد قال: وإذا الهلال (في وجهي) مع العلم أن الشاهدين قد جاوزا الثمانين من العمر ومثلهما في ذلك السن لا يبصر جيدا، وليس من السهولة أن يرى الهلال صدفة بهذه الطريقة، كما أنهما لم يؤديا الشهادة إلا بعد يومين أو ثلاثة مما يدل على خطئهما في تحديد الليلة التي رأيا فيها الهلال».

وكانت دراسة أعدها الأستاذ الدكتور أيمن سعيد كردي أستاذ علم الفلك بجامعة الملك سعود حسبما نشرته صحيفة «الشرق الأوسط» السعودية اللندنية بتاريخ 29 تشرين الاول/ أكتوبر 2003 عقد فيها سيادته مقارنة بين الرؤية العينية والحسابات الفلكية في الفترة بين 1400هـ ـ 1422هـ أي لمدة 22 سنة فوجد أنه في ثماني عشرة مرة (18 مرة) أبلغ شهود سعوديون عن رؤيتهم الهلال، بينما كان الهلال تحت الأفق بمعنى غير موجود البتة!!! بعد غروب الشمس لكي يراه أحد. ولقد روي عن الإمام علي والزهري وغيرهم من علماء الإسلام رد قول الاعراب في شهادتهم إذا كان لا يوافق الحق بقولهم «لا نقبل قول أعرابي بوال على عقبيه» وكان عمر بن الخطاب نفسه يردد قول الصحابي نفسه فيما ينقل عن رسول الله إذا كان لم يسمع به حتى يأتيه بشاهد آخر أو حتى ظن أنه يخالف فهمه للقرآن أو السنة كما فعل مع فاطمة بنت قيس حين قال لها «لا ندعُ كتابَ الله وسُنّةَ نبيِّنا صلَّى اللَّه عليهِ وسلَّم لقول امرأة، لا ندري أحفظتْ أم نَسيتْ» ولقد كتب رئيس مجلس القضاء في بيّاناته المتعاقبة في شأن رفضه للنقد الذي وجه إليه في شأن هلال شوال 1425 مقللا من شأن المراصد رافضا حقائق علماء الفضاء والفلك تحت مسمى أن النبي قال «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» وبالرغم من كون هذا الحديث روي في البخاري ومسلم وغيرهما إلا أنني أجد ملاحظات على هذا الحديث في غاية الخطورة حيث انه لم يردد هذه العبارة في أي حديث عن رسول الله «لا نكتب ولا نحسب» إلا عبد الله بن عمر في دنيا الأحاديث حيث انفرد بها، فلعل هذا من إدراجه وشرحا لفهمه عبارة «أمة أمية» والذي يدعم هذا أن المصطفى الذي نزل عليه القرآن أول جمل نزلت عليه «اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم» وبعدها بمدة قليلة ومن أوائل ما نزل عليه «والقلم وما يسطرون» وبعدها بعدة سنوات في مكة قبل الهجرة وقبل أن يفرض رمضان والحج المرتبطان بالقمر نزل عليه (ص) «لتعلموا عدد السنين والحساب» وبعد الهجرة «إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه». وليكتب بينكم كاتب بالعدل. ومن المستحيل أن يكون قد فات رسول الله ـ معاذ الله ـ ما نزل عليه ولم يدرك معناه وفيه الأمر بالقراءة والسطر أي الكتابة وعلم الحساب والأمر بالكتابة تصريحا ليقول (ص) عبارة «لا نكتب ولا نحسب» وهذا يؤكد أنها ليست من قول رسول الله ولو كانت من قوله على الأقل لنقله أي راو آخر بجانب عبد الله بن عمر لا سيما وقضية الهلال محل الإشكال في كل رمضان والحج والأشهر الحرم حيث يحرم القتال ابتداء. وعلى فرضية أنه قال ـ وهذا مستحيل ومستبعد لما قدمنا ـ فهو وصف لحال العرب يوم ذاك دون ملازمة الصفة إلى يوم القيامة وإلا طالبنا العرب والمسلمين أن يظلوا أميين وجهلاء إلى يوم القيامة حتى لا نهدر نبوءة رسول الله أو الصفة التي وسم بها أمته ليوم الدين!!

وعلى هذا فإن الحق قديم والرجوع للحق فضيلة وهو خير من التمادي في الباطل وضمانا لسلامة الحج وحفظا لوحدة المسلمين الذين أعلنت أكبر منظماتهم في أمريكا وكندا أن العيد يوم الأحد 31 كانون الاول/ ديسمبر 2006 وليس السبت كما أعلنت السعودية بالرغم من أن المفترض أن يكون عيد الأضحى هو اليوم التالي للوقوف بعرفة حتى لو كان الإعلان خطأ... فإنني أدعو مجلس القضاء السعودي بإعادة سؤال الشهود في وجود علماء الفلك السعوديين ولجانهم الرسمية المشكلة بمرسوم ملكي سام وعلى ضوئه يصحح الإعلان الخاطئ حفظا لسلامة حج الحجيج والأمر لم يزل بأيدينا، فقد عدل المجلس الأعلى للقضاء السعودي العام الماضي يوم عرفة إلى اليوم الخطأ بعد ثلاثة أيام فلعله يجبر خطأ العام الماضي بالرجوع إلى الصواب هذا العام بتعديل يوم عرفة إلى يوم السبت 30 كانون الاول/ ديسمبر 2006 بدلا من الجمعة تأسيسا على البداية الصحيحة لشهر ذو الحجة يوم الجمعة وليس الخميس كما أعلن فإن لم يستجب مجلس القضاء فيجب على علماء السعودية الأتقياء الذين يحترمون العلم الشرعي والفلكي واللجان المسؤولة والذين لا يخافون في الله لومة لائم أن تقابل الملك عبد الله رأسا وفورا لإعادة استجواب الشهود الذين أطاحوا بمعطيات العلم القطعي على الأقل واهمين عملا بقوله تعالى «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وإلا كانوا من أولئك الذين «نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون» ..... وإنا لمنتظرون.

ملاحظة: للاسف لم نتمكن بسبب العطلة من نشر هذه الكلمة في موعدها، لكن معناها يظل قائما مع ان المناسبة تجاوزتها.

المحرر

* إمام مسجد أولي الألباب ـ بروكلين ـ نيويورك
الأمين العام السابق للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في نيجيريا N.A.I.C.G
المحاضر السابق في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية والعربية ـ جامعة مفتاح الدين ـ إبادن ـ نيجيريا
shikhtareq@aol.com

كمال مجيد*

# الأدلة الثبوتية لفاشية أمريكا

■ اتهم جورج بوش المعارضين لسياسته بالفاشية الاسلامية Islamic Fascists في حين هناك ظواهر عديدة تدل على ان النظام الامريكي قد دخل مرحلة الفاشية مثل تلك التي كانت سائدة ايام هتلر في المانيا، منها:

1 ـ التركيز على صناعة السلاح لحل الازمة الاقتصادية: فبعد أن بلغت ديون أمريكا أكثر من ترليون دولار ارتفعت أسعار البترول بينما رفضت الشركات الامريكية المختصة تخفيض اسعارها للحفاظ على ارباحها البليونية. فانهار سعر الدولار الى النصف بغية التخفيض الفعلي لما تناله البلدان المنتجة للنفط،الامر الذي يؤدي بالضرورة الى تضخم اسعار كافة البضائع الاخرى فيليه الكساد وثم انتشار البطالة. و لتجنبها تصرف الحكومة الامريكية 425 مليار دولار في السنة، كل سنة، لشراء السلاح للتأكد من استمرار انتاجه. فهناك، حسب تشومسكي «60 مليون أمريكي يعيشون على انتاج السلاح او استخدامه» وهذا العدد يشمل العمال والجنود وعوائلهم. وأي كساد في صناعة السلاح يولد ازمة اقتصادية مستعصية في أمريكا ومن ثم في بقية العالم. ان ظاهرة تجنب البطالة الفاحشة هي بالضبط ما كان سائداً في المانيا حين تم انتخاب هتلر كمستشار لهاحيث شملت البطالة ستة ملايين عامل. ولحل المشكلة قرر هتلر استخدام الشركات العملاقة، مثل كروب، للتركيزعلى صناعة السلاح.

2 ـ ان الفيضان في انتاج السلاح يولد ظاهرة التوسع عن طريق العدوان على الشعوب الاخرى وهذا ما تفعله امريكا مثلما فعل هتلر قبل نشوب الحرب العالمية الثانية.

3 ـ في شن حربها على البلدان الضعيفة، مثل الصومال وافغانستان والعراق، تركز أمريكا على العداء للاسلام، بالضبط مثلما ركز هتلر على عداء اليهود. ولهذا صرح بوش، بعد أحداث نيويورك في 2001/9/11، بأن حربه «العالمية الثالثة» هي عبارة عن «حرب صليبية». بل أكثر من هذا ركز في حملته على كسب الاصوليين المسيحيين حيث صوت اربعة ملايين منهم Evangelists لصالحه في الانتخابات الرئاسية الاخيرة.

4 ـ مثل هتلر، امتاز بوش بالانفراد في الحرب عن طريق استثناء حلفائه في الحلف الاطلسي، مثل المانيا وفرنسا، وهذا ما فعلته أمريكا حين احتل منابع نفط الخليج بحجة تحرير الكويت سنة 1991. بل اسرع بوش في احتلال العراق سنة 2003 دون انتظار قرار مجلس الامن مما أجبر كوفي عنان أن يصرح في 2004/9/15 بالقول «ان الحرب على العراق تعتبر غير شرعية لأنها خرقت ميثاق هيئة الامم المتحدة.» ولا شك أن سكرتير الهيئة يتقن الميثاق قبل أن يتم انتخابه. أن ما فعلته امريكا يطابق هجوم هتلر على تشيكوسلوفاكيا وبولندا دون موافقة عصبة الامم، مما اجبر بريطانيا اعلان الحرب عليه طبقاً لنصوص معاهدتها مع بولندا.

5 ـ مثل هتلر اعتمد بوش على نشر الدعاية الكاذبة لتبرير عدوانه. ففي حملته على العراق استند على جملة طويلة من الاكاذيب ,منها:

أ ـ هناك في العراق اسلحة الدمار الشامل، لكن فشل خبراؤه في كشف شيء. بل على العكس، تعترف الولايات المتحدة بأنها تنتج وتستعمل أسلحة الدمار الشامل. فهي التي قصفت هيروشيما وناغازاكي بالقنبلة الذرية. وفي 2005/12/10 أظهر تلفزيون بي بي سي صور الاطفال الفيتناميين الذين ما زالوا يولدون دون ان يتعلموا السير او الجلوس لأن امهاتهم تعرضن لغاز Agent الذي نشرته الطائرات الامريكية على Orange بلدهن.

ب ـ ادعى بوش بأنه ينشر المدنية في افغانستان والعراق. لكن «تحريره» لافغانستان ادى الى انتشار زراعة المخدرات. أما في العراق فقد هاجم جنوده متحف بغداد والمكتبات لسرقة منتجات السومريين والاشوريين والكتب الاثرية بغية بيعها في السوق السوداء في نيويورك وشيكاغو. ولعل اهم مثال للمدنية الامريكية قد تبين للعالم أجمع حين شاهد الناس، على شاشة التلفزيون، الكلاب المدربة تعتدي على الموقوفين في سجن ابو غريب.

ج ـ ادعى بوش بوجود علاقة بين النظام العراقي ومنظمة القاعدة. لم يتم تفنيد هذه الكذبة من قبل الخبراء الامريكان فحسب بل دخل محاربو المنظمة ارض العراق بعد أن تم احتلاله من قبل الامريكان.

د ـ أدعت المخابرات الامريكية بأن المقاومة العراقية عبارة عن نفر قليل من الارهابيين الاجانب. الا أن تقرير بيكر ـ هاملتون يؤكد أن 75 % من الشعب العراقي يقفون الى جانب المقاومة. في حين أكد مدير المخابرات العراقية بعد الاحتلال بعشرين شهراً بأن هناك «200 الف عراقي يعملون في صفوف المقاومة او يساعدونها».

هـ ـ ادعت امريكا بأنها ستوفر الماء والكهرباء وتقوم بتصليح مجاري المياه القذرة، التي هدمتها في حرب الكويت، لغرض تحسين الحالة الصحية في البلاد. لكن المنظمة الطبية البريطانية اجرت بحثاً بهذا الخصوص داخل Medact العراق وأعلنت أن الحالة الصحية أسوأ مما كانت عليه قبل الاحتلال.

و ـ بعث ديك تشيني وجورج شولتز، وزير الخارجية أيام الرئيس ريغان، بشركتيهما، هالبرتون وبكتيل، بحجة تعمير العراق ولكنهما انتهيا ببناء 14 قاعدة عسكرية . وبدلاً من تعمير البلاد هدمت الطائرات الامريكية كلاً من الفلوجة وتلعفر ومدينة الصدر، بل تم ضرب حتى قبة الامام علي بن ابي طالب في النجف بصاروخ.

ح ـ ادعوا انهم سيحافظون على وحدة العراق ولكنهم نشروا التفرقة العنصرية والطائفية عن طريق التركيز على «الأكثرية الشيعية» و«المثلث السني» والادعاء بأن الشعب يتكون من السنة والشيعة والاكراد.

وفي حالة الحرب على العراق استخدمت الولايات المتحدة الطرق الهتلرية التالية:

1 ـ الهجوم الصاعق حسب نظرية الصدمة والرعب Shock and Awe.

2 ـ الاسلحة المحرمة واسلحة الدمار الشامل مثل القنابل الفسفورية (في الفلوجة) والقنابل العنقودية وديزي كتر (النابالم المتطور). ويشيرالاخصائيون الى أن الولايات المتحدة استخدمت بين الف الى الفين طن من القنابل والقذائف المغطاة باليورانيوم ضد المدن المكتظة بالسكان، على خلاف حرب الكويت حين استخدمت فقط 390 طناً منها، والتي القيت فقط على المناطق الصحراوية.

3 ـ لتثبيت أقدامها استخدمت امريكا التمييز القومي والطائفي فشكلت ما يسمى بالحرس الوطني والشرطة الجديدة من اتباع الحزبين الكرديين وحزب الدعوة ومنظمة بدر وتوجيههم ضد المقاومة التي نعتتها بالسنة العرب.

4 ـ انها حطمت مدناً كاملة مثل الفلوجة وتلعفر ومدينة الصدر حسب نظرية «لانقاذ المدينة عليك أن تهدمها». كما جرى في مدينة هوي في فيتنام سنة 1968.

لتنفيذ سياسة السيطرة على العالم اخترع الامريكان اربع نظريات عجيبة وهي:

1 ـ ان المصلحة الامريكية هي الاساسية ومصالح الشعوب الاخرى ثانوية وعلى شعوب العالم أن تخضع لأمريكا لأنها مرتبطة بها بصورة عضوية. فأي خلل يصيب المصلحة الامريكية مضرة لها وللعالم، هذا هو منطق العولمة

2 ـ اذن: ان التدخل الاقتصادي والسياسي والعسكري في أي جزء من العالم ضروري وملزم و أن التراجع عن هذا المبدأ يولد الانتكاسة لأمريكا والعالم.

3 ـ هناك اذن الضرورة لتخطيط الحركات العسكرية السريعة للسيطرة على التقلبات الفجائية التي قد تحدث في أية بقعة من العالم. ولهذا لا مجال للمناقشات الطويلة، دع عنك الاتفاق، مع حلفاء امريكا في حلف الاطلسي، ولا يمكن الانتظار لأخذ القرارات في مجلس الامن. فالانقضاض السريع على الخصومة الطارئة ضرورة اساسية لابد منها.

4 ـ وبعد احداث نيويورك في 2001/9/11 اضافوا نظرية «ضرورة الاستمرار في الحرب العالمية ضد الارهاب لعقود غير معروفة من السنين وستشمل هذه الحرب اكثر من خمسين بلداً» ونظرية : « ان من يعارض أمريكا هو ارهابي».

ان تأريخ الحروب الامريكية منذ الحرب العالمية الثانية يعلمنا:

1 ـ ان احتلال بلد من البلدان كالعراق و أفغانستان سيستمر لعقود مثلما هو الحال في احتلال جزيرة اوكيناوا اليابانية منذ الحرب العالمية الثانية ومثل احتلال كوريا الجنوبية ومؤخراً مثل غرينيدا و هايتي وباناما.

2 ـ لا يمكن طرد المحتلين الا بالثورة المسلحة كما حدث في لبنان والصومال وفيتنام.

3 ـ تختار أمريكا تلك المواقع والجبهات التي تلائمها وتستخدم تلك الاسلحة التي تحقق النصر السريع، دون المبالاة بعدد الضحايا او مقررات بروتوكولات جنيف او هيئة الامم المتحدة. وفي كل العمليات لا يخضع الجندي الامريكي للقوانين الدولية ولا يمكن محاكمته من قبل المحاكم الدولية. وبالطبع ترد الشعوب المقهورة على العدوان بالطرق المتوفرة لديها، مستخدمة الاسلحة المؤثرة، فليست للحرب قوانين تمنع النصر السريع.

4 ـ لقهر الشعوب تستخدم امريكا جميع البلدان التابعة التي تشترك في ما يسمى بتحالف الراغبين Coalition of the Willing كما حدث في العراق وافغانستان حيث تم سوق جيوش تاجيكستان وجورجيا وبولندا وهوندوراس و30 دولة اخرى.

بالرغم من كل هذه الميزات الهتلرية استطاعت المقاومة العراقية الباسلة افشال خطة الاحتلال بعد أن قتلت في الحرب الدائرة ثلاثة الاف جندي امريكي وجرحت اثنين وعشرين الفاً اضافة الى عدد كبير من المقاولين والحراس والجواسيس وجنود البلدان التابعة.

لقد اعترفت الحكومة الامريكية بهذا الفشل الذريع فانشقت على نفسها دون أن تعرف درباً للهزيمة: هل تعتمد على نصائح بيكر ـ هاملتون أم على خطط البنتاغون التي توصي بدفع الجيش العراقي الجديد لقتل العراقيين ولكن بعد اخضاع الضباط العراقيين لق